

ما لا يُستعاد

البرنامج الوطني للقراءة

مكتبة الأسرة الأردنية

سلسلة تصدرها وزارة الثقافة الأردنية، أطلقت لأول مرة في عام (2007)، وتم تطويرها في عام (2020) ضمن البرنامج الوطني للقراءة.

وتهدف (مكتبة الأسرة الأردنية) إلى نشر المعرفة وإثراء مصادر الثقافة وتنمية التفكير الناقد ورفع مستوى الوعي لدى الأسرة الأردنية من خلال توفير الكتاب بجودة عالية وبأسعار رمزية. تضم السلسلة ستة حقول أساسية: دراسات أردنية، تراث عربي وإسلامي، آداب وفنون، فلسفة ومعارف عامة، علوم وتكنولوجيا، والأطفال.

مكتبة الأسرة الأردنية / مهرجان القراءة للجميع الدورة (2020/14)

عنوان الكتاب : ما لا يستعاد

المؤلف : مريم شريف

الناشر : وزارة الثقافة

شارع صبحي القطب، المتفرع من شارع وصفي التل، بناية 20

هاتف: 5699054 / 5696218

فاكس: 5696598

ص.ب. 6140 - عمان - الأردن Email : info@culture.gov.jo

• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2020/9/3977)

• (ردمك) ISBN 978-9957-94-572-5

الطباعة : مطبعة حلاوة النموجية

© جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

© All rights reserved. No part of this book may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

مریم شریف

ما لا يُستَعَاد

شعر

إلى إبراهيم..

لم يعد أبي من الحرب

(1)

لم يعد أبي من الحرب،
جبلٌ من الأعوام يسدُّ الطريق،
الليلةُ البعيدةُ أخذتُه أبعدَ منها
وعادت عند الباب،
وقفتُ تحت المطر الذي جاء
تحتَ الشمس التي عادت
تحت جبلٍ من الأعوام
كلُّ الابتسامات التي تعلَّمتها
نحن الأبناء

كُلُّ الطَّرَاقَاتِ الَّتِي تَعْرِفُنَا
لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسْحَبَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
مِنْ تَحْتِ ذَلِكَ الْجَبَلِ
لِيَعْرِفَ أَبِي الْبَيْتِ إِنْ عَادَ
أَوْ لَتَمَحُو مِنْهَا الْحَرْبُ
الَّتِي لَمْ تُعِدْهُ

(2)

قريباً من الضجيج والناس،

والركام،

بأصابع أتعبها كثيراً أن تمسح الدموعَ

التي لم تسقط إلى الخارج

أكتب على البياض المتلاشي

والورقة الممزقة

ما يُضافُ إلى الرُّكام ..

(3)

ما زالت هنالك أغنياتٌ جميلة،

ربما تلك التي أسمعها صدفةً،

في شارع أو في حافلة،

ما زال هناك غرباء،

أريد أن أبادلهم حديثاً عابراً،

عميقاً وعابراً،

ثمَّ ينتهي إلى الأبد.

ما زال هنالك وجهٌ أريدُه بين يديَّ

مثلما لا أريد أن أنسى غداً

ما كان يدفعُني لحماسةٍ كهذه ..

(4)

كنتُ سأكتبُ عن وجهك
لكن ما يمنحهُ لي وجهك
ليس في استطاعتي أن أَمْنَحهُ للقصيدة
كنتُ سأكتبُ عن يديك
لَمَسَ الليلُ نجومهُ ألفَ مرّةٍ
وأنا لم أعرف بعد
ماذا تتسمّى الأشياءُ
حين تلمسُها بيديك
كنتُ سأكتبُ عنك أنت
لكنّني لا أقوى
على رؤية نهايات اللغة

والمفرداتُ التي عادتُ معي

إلى الأرض

قليلة .

(5)

سأكلّم صوتك

ظلّ هنا حين ذهبتَ

الأشياء الصامتةُ هي صوتكَ

الأشياء المألوفة

صوتك الذي لا تخفّتُ أجراسه

صوتك الذي لا يذهب

كالأيّام

(6)

الحزن الهادئ، والحزنُ الألم،

التذكر الهادئ والذاكرةُ الألم،

الصمت،

والصمتُ من الألم،

نحن بقيّة كلِّ ذلك

إلى أن يخلق الألم

البقية الأخرى.

(7)

في غيابك،

لم يكن على الشتاء أن يذهب،

البرد الذي كان يلفحني من رأسي حتى قدمي،

كان يتحوّل بتلقائيةٍ، وبالقليل من الألم

إلى فكرةٍ عن دفئك.

(8)

مثل صورةٍ قديمة،

طاولتي وأنا نتوسَّط الليل،

في أخفض مكانٍ تحت عينيكَ

نكتب هذه الكلمات،

نضيفُ للظلِّ وهو ينمحي

شكلَ امرأةٍ وطاولة ..

للأشياء العميقة العابرة

(1)

لم يكن الضوء هو كلُّ ما أريد،

ولكن،

أن يظلَّ في قلبي مكانً صغيرٌ

لا يُعْتَمُ

إذا انطفأ الليل

كالغرباء، كما أنا

أعاًودُ الدورانَ

في ليلٍ تصدُّه الأمكنةُ

في أمكنةٍ يجرفها الليل
في ما يجرفُ الليلَ
ويطرُدُ الأمكنةَ
أتناثرُ في جوف النهار
تُقاطِعني الدروبُ
لا أرى ترابها يشبه ترابي
كلانا يهوي من يد الآخر
كالرمالِ حين يذروها الوقتُ الذاهب
بأكثرَ مما يقولُ الشتاءُ
بأكثرَ مما يتسعُ له بابٌ مغلق
بما يكفي كي أخرجَ من قلبي
أقفُ على حافتهِ

لأعرف، كما عرفتُ دائماً
أنَّ السماء التي غادرت قلبي
صارت عتمته.

(2)

هنالك صوتٌ لكلماتك

وصوتٌ لصوتك

صوتٌ عميقٌ

وبعيد

كآخر الأرض

تَعْرِفُهُ رُوحِي

تذهبُ إليه أحياناً

تحيا هناك

مثلما تحيا الروح

في جسد .

(3)

حين أكونُ بين الآخرين،
أدركُ أنَّ للوجودِ هيئةً كاملةً،
التحامًا، صخبًا، كثافة.
أرى الخيوطَ الواضحة،
أرى قِصَرَ المسافةِ بين المهارة
وبين الحواسِّ
حين يبدأ الصمت في محو ضَجيجهم،
أدركُ أنَّ نصفَ رُوحِي
مكانٌ مهجورٌ
يمرُّ من حوله الوجودُ
ويمضي في طريقه

(4)

هنالك بابٌ

أسمعه طيلة الوقت

يُفتحُ ويُغلقُ،

أنا لا أخرجُ ولا أدخلُ،

فقط أعرفُ

أنَّ صَريه

هو هذه الأيَّامُ،

أو سكينتها

الغائبة ..

(5)

سيهبطُ نهاري
من تلك الأبوابِ البعيدة،
أعرفُ أنَّ مفاتيحهُ
لن تقعَ في يدي وحدي
أنا أشاهدُ العيونَ الكثيرةَ للسقف،
أشاهدُ الطريقَ المرسومةَ سَلَفًا
أشاهدُ وطني، كأنَّ الله وعد به الغرباء
أشاهدُ آباءَ وذاكرة
وأعجبُ، كيف يمشي جوارَ جسدي
ظلٌّ واحدٌ
دائمًا ظلٌّ واحدٌ،
ويتلَكَّأ

(6)

لو أنني أقفزُ

هكذا، كالأطفالِ

بلا ادعاءٍ

أنقأدُ لوميضِ الدهشةِ

حتى يُعيدني آخرُ غروبٍ

في الأفقِ

لا يخطرُ ببالي

أنني أيقظتُ وهمًا

من سباته

لو أنني حين يملؤني

شُرودُ الطرقاتِ

لا أقفُ خلفَ البابِ

حتَّى تجفَّ الطرقات،

لو أنني أتركُ عينيَّ

في عاصفةِ الخيال هذه،

لا أعودُ

ولكن

يا لهذه اليقظةِ المختلقةِ

ساعةً، ساعتين،

ماذا ستفعلُ في قوقعة الزهد

هذا

قلبي ..؟

(7)

حين يكونُ الوقتُ مُتَّسِعًا

كيدین فارغتين

وفضاضًا

تتساقطُ منه آثارُ الأشياءِ

في مكانٍ سَيَّسَعُ أَكْثَرَ ممَّا أُطِيقُ

ليكونَ مقهًى

في مدينةٍ لا أحبُّها

حين لا يكونُ لديَّ

سوى مِشْيَةٍ ذاهلةٍ

للعودةِ

ولا يكونُ المدى

أبعدَ من خطواتِ النادلِ

سأجلسُ أمامَ عيينِ

نسيْتُ وأنا أنتظرهما

أنْ أوقِفَ القطاراتِ الذاهبةَ

والآتيةَ

نسيْتُ أنْ أحملَ

ما تساقطَ على الجدرانِ من الشموعِ

وما تساقطَ على الشموعِ من الجدرانِ

شاهدتُ السماءَ تغادرُ الطرقاتِ

لأنَّ الوحشةَ ستعلِّقُ سماءَها وتُمطرُ

ولم أحرِّكْ ساكنًا

وسأقولُ لكثافةً خلفهما

تُضَيِّقُ طريقَ العودة:

حياتي هي ما استطعتُ

وما لم أستطعُ

هو أنا ..

كثية في ثوبٍ قديم

(1)

الضوءُ الآتي من بعيد،

يلتمعُ فوق الجدران المطفأة

بهدوء،

ولكن، مَنْ يدري

قد تكفي أغنيةُ الضوء الشاحب

كي توقظَ الأغنيةَ المصلوبةَ

فوق الجدران

قد تكفي

كي أمسِكَ ذيلَ الزمن الهارب

أَجْلِسُهُ عَلَى الطَّائِلَةِ الْمُتَبَقِّيةِ

وَأُحَدِّقُ فِي سُلَمِهِ الْمُنْهَوْبِ

فَقَدْ أَرَى شُمُوعًا

تَفْتَحُ لِي كُوَّةً

فِي جِدَارٍ وَجُودِي الْمُبْهَمِ

أَوْ بَابًا سَمَاوِيًّا

فِي جِدَارٍ

يَنْتَظِرُ الضُّوءَ الْآتِيَّ مِنْ بَعِيدٍ

كَيْ يُضِي

بِشُّحُوبٍ

(2)

تتركُ لي كلماتك وتذهب

لا أريدها أن تنمحي

أريد أن أعلّقها في الريح

في كلّ مرّة حين تعود الريح

أقفُ لأشاهدَ الحياة

التي تجعل الأشجار تنحني

(3)

حتَّى بعد أن هدأتِ الريح

ظَلَّتْ يداي باردتين

ظَلَّتْ الأشجارُ تهتزُّ

والأوراقُ الجافَّةُ تتساقطُ

وكانت كثيرةً، وتدورُ حولي

أو ربما لم تكن الأشجارُ تهتزُّ

ولم تكن الأوراقُ تتساقطُ

لكنَّ يديَّ ظلَّتَا باردتين

هذا ما أعرفهُ

هذا ما يجعلني غير متأكَّدةٍ

من شيءٍ آخر.

(4)

بيتي الذي لم يركَ

يعرفكَ

صامتٌ هو هذا اليوم

قديمٌ

وشاحبٌ كالمرضى

بيتي الذي لم يركَ

يعرف أنَّكَ ذهبتَ

(5)

هذا الذي يذهب

مَمَحُواً بالغروب

ليس حديثي القديم مع الأفق

ربما الأيام التي تحمل ثقل الترقُّب

أُنْظِرُ إلى الشمس الخفيفة

مساءً حياةً فارغة

ينتهي دون سبب

(6)

الأوراق تساقطت عن الأشجار

بالكاد أُلاحظ

الأشجار تخضرُّ

بالكاد أنتبهُ

أنا التفاصيل المهدورةُ

في كلِّ ذلك

أنا الزمن الذي لم تلتقطه عيناى

من الكون

ومن قلبي،

أنا النقصانُ

السائرُ في طريقه

(7)

هل الباب الذي دخلت منه

يكون هو ذاته

حين تخرج؟

الآن أعرف أنَّ المكان

يتذكَّر الألم

أنَّ المكان هو الألم

(8)

بيتي فوق تلة مرتفعة

طيلة أعوام

كان بيتي فوق تلة مرتفعة

وها أنا أفتح قلبي على اتّساعه

لا أشاهد سلامًا مختلفًا

ألقتُهُ التُّلةُ في صوتي

لا أكثرَ من الحديث

الذي يحكيه الغبارُ عادةً

للبيوت

(9)

خطواتك في طريقها

وصوتها في قلبي

الليل يصغي

من بعيد

الليلُ يصغي لخطواتك

منذ أول الحياة

(10)

أردتُ أن أقول كلامًا كثيرًا
قبل أن يحلَّ الجزء المريض من النهار
كلُّ يوم يعود الجزء المريض من النهار
كلُّ يوم كان لديّ كلامٌ كثير لم أقله
الجماداتُ من حولي تبتلعه وتثقل
الجمادات تحمله في دواخلها وألوانها، وتتقادم
وأنا لا أستطيع المرور خلال كلمة واحدة
أستطيع فقط أن أسمع أنفاسي
وهي تصعد من الجماد
وتعود إليه

(11)

كم مرة

انتهى هذا الشارع

عند هذا الباب

الشارع الممدود من أجل مجيئك

والباب الذي من مسافة ألف مساء

يمكن رؤية انتظاره

ثم في ما بعد

كم مرة سينتهي هذا الشارع

عند هذا الباب

وفي جوف الباب

كم مرة سيقف الفراغ

مثل جوابٍ مُطْلَقٍ

(12)

الأوراقُ التي تتبعثرُ حول الشجرةِ

صفراءَ واهنة

لا تحمِلُ عبءَ الصُّفرةِ

لا ترى السماء الملبَّدة

والريخَ الباردة

أنت الذي يجفّل قلبك

من هذا المشهد

أنت الحزين

أنا مثلكَ

تمامًا

(13)

إذا نَبَتَتْ من هذه الكلمات شجرة
فلكثرة ما تكلَّمْنَا عن الأرضِ المهجورة
ولكن لا أشجار هناك
وكلُّ ما قلناه
لَمْ يُشَيِّدْ إِلَّا ظلالاً متأرجحة
بالكاد نتذكَّر
أنها من صنع شجرة
بالكاد نتذكَّر أَنَّ الشجرة
كانت تميل نحونا مثل أمِّ
وأنا ببساطة
لَسْنَا أَكْثَرَ من غريبين

لا يريدُ واحدُنَا أكثرَ من كلمة

يحزن بطلاقة

في ظلّها العابر

(14)

ربما كانت هذه هي الغربية

أن تتذكّر

أن تجد تفاصيل غائبة

ورطبة، كسنية في ثوب قديم

أن تُغمّر بذلك الشعور الكامل

أن تموت في كل مرة

وأنت تظن أن طريقك انتهت

وأنت في هذه اللحظة

خارج الأبواب

لست بعيداً بما يكفي

ولست القريب

(15)

كنتُ أُمسِكُ حَبَّاتِ المطرِ
نقاءَ حزينٍ مثلَ ابتسامتكِ
ومثلها يهطلُ من سماءٍ بعيدةٍ
غيمٌ من طمأنينةٍ
يجتازُ البناياتِ المرتفعةَ وقيعانِ الليلِ
ويهبطُ في البحرِ نقيًّا وخفيفًا
كما لو أنه محا العذابَ العالقَ
أو رماهُ في القاعِ
مطرٌ خلفِ النافذةِ والبابِ
وأنتِ تقفُ وتنامُ، وتصحو خلفَ ابتسامتكِ
الشجرةُ التي تهتزُّ تحتِ نافذتي

هي ابتسامتك
يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَحْيَانًا
أَنَّ صَوْتَكَ هُوَ الظِّلُّ فِي كُلِّ طَرِيقٍ
وَأَنَّ الْهَوَاءَ يَحُومُ حَوْلَهُ
زُرْقَةٌ خَافَتُهُ، غَيْمٌ مِنْ نِثَارِ طُمَأْنِينَةٍ
يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَيْضًا
أَنَّ الْوُجُودَ هَكَذَا
الْهَوَاءُ يَحُومُ خِلَالَ الْأَرْضِ
وَشَجَرَةٌ ابْتِسَامَتِكَ تَحْتَ النَّافِذَةِ

فليكن طليقاً

(1)

ليكنْ انتفاء المسافةِ

بين عينيَّ والوصول

ذلك المعنى

فليكن ثميناً

كما هو، وطيّقاً

ليكن أثراً

يسترسل في زُرقة الهواء

وَحْدَهُ قلبي

مَنْ يراه

وَحَدُّهُ مَنْ يُقِيمُ جَنَّتَهُ

فوق الأثر

ذلك الأثر . . .

(2)

حتى تلك الدرب

الصاعدةُ نحو تلالي الصغيرة

تلالي القديمة

تضيقُ منِّي

من وُغورةٍ أحملُها فوق قدميَّ

أينما سرتُ

أنا الحبيسةُ خارجُ أغنيةٍ

تصنعُ أيامي

ماذا أفعلُ بسيلِ الأمكنةِ

المتوقِّفِ خلفَ البابِ

(3)

بعيداً عن بيتي

بعيداً عن مدينتي

بمدنٍ وسحاب

ها أنا

مرةً بعد مرةً

أقفُ خلفَ نوافذٍ لا تعرفني

لا أرى سوى المشاهدِ ذاتها

لنافذتي النائمةِ في بيتي البعيد

وهذا يجرحني قليلاً

ولا يُفاجئني

يفاجئني حين أعودُ

كم تراكم فوق زجاج نافذتي

غُبار

(4)

على التَّلَّةِ البعيدةِ

ضوءٌ بعيد

من كثرة ما نظرتُ

صارت التَّلَّةُ تضيء

من كثرة ما أضاءتْ

غرقتِ الشوارع في الظلام

في الطريق التي أحملها

(1)

هل أنا مَنْ كانتْ تمشي قبل قليل

مَنْ قَطَعَتْ كُلَّ تلكِ الطرقاتِ في نهار المدينة؟

هل أنا من عادتْ إلى البيت؟

مَنْ فَتَحَتِ الباب؟

مَنْ عَلَّقَتْ رنين المفاتيح على الجدار؟

مَنْ صادفتْ وجهها في المرآة، وهي تُلقِي الحقيبةَ

قاطِعَةً التَّخاطُرَ الصامتَ بين الحائطِ المقابلِ والمرآة؟

مَنْ هي إذنُ تلكِ الجالسةُ هناك

على المقعدِ الغائرِ في الظلِّ

إلى طاولةٍ من خشبٍ في كامل صمتهِ

وتكتبُ عن انمحاءِ الطرقاتِ؟

(2)

في الطريق التي تحملني

طريقُ أحملها

في سيرها تأتأة،

تقعُ في سَمْعِ الحصى

كلّما أصغى لحديث خُطاي مع المسافات

وتُحني كتفَ الأفق قليلاً

لتبحثَ تحت كلامي عن شيء ضيّعته مثلاً

أو لتبصرَ ظلّها يشيخُ بين الظلال

للطريق التي تحملني عينان لا عُمَرَ لهما

وللطريق التي أحملها

عينٌ من صدى

(3)

ما إن ينقضي الليل
حتى يعود الضوء في هيئة صباح
شيء ما في الصباح يفتح النوافذ
يدخل الوقت في هيئة نهار وهواء
ثم، بقليل من رائحة المنزل وأصواته
كاضطفاق الأبواب مثلاً
بقليل من الغبار القابع في رُكود الأشياء
بقليل مما يُفعل ويقال تكررًا
يصير النهارُ شيئًا من أشياء المنزل
كالمقاعد
أو السقف

كَوَقْفَةِ النافذةِ خَلْفَ حَفْقِ الستارةِ

كَالرُّفوفِ وما يُنسى فوقها

وَالغبارِ

أحياناً ..

(4)

كأثرٍ ليدٍ لوَّحَتْ في الهواءِ قليلاً

تلك الكلمات القليلة

أنا لم أعد أسمعُ الكلماتِ

ولا أرى اليدَ التي لوَّحَتْ

لكنني أرى الأثرَ المائلَ في الهواءِ

(5)

في كلماته القليلة
أبحثُ عن قطرة ماءٍ
علقتُ بسقفِ إحدى الكلمات
أبحثُ في قطرة الماءِ عن نهر
أبحثُ في النَّهرِ
عن كأسِي التي أضعتها منذ سنين
ألملمُ الرؤى التي أحاطتِ السَّرابَ منذ الأزل
أشاهدها تلوي عُنقَ السَّنين
وتُعبئُ النَّهرَ في كأسِي
أشاهد الكون
يتبادلُ الدَّورَ
مع الكأس التي شربتها للتو

(6)

الحكايةُ التي علَّقتها في سَقْفِ السماءِ

لتشربَ السماءَ كلّها

أعادتها السماءُ ضامرةً إلى سقفي

أعادها السقفُ إلى عينيَّ

ودونِ عناءٍ

نزَلْتُ من عينيَّ إلى قلبِ الطريقِ

وكعادتها تسيرُ الطريقُ بين أقدامِ العابرين

لا تشكو ثِقَلًا مُباغِتًا في الرِّيحِ، مثلاً

ولا تحديقًا مختلفًا

تُرسلُهُ عيونُ السماءِ

ضوء خافت

(1)

هنالك ضوءٌ زائِدٌ في ذاكرتي

يشبهُ الظلامَ تمامًا

كم يشبهُ الظلامَ

(2)

أيُّها البعيد

أنتَ لا تقرأ القصيدةَ

أنتَ تمرُّ بقلبي

هل رأيتني؟

على المقعد الوحيد

والطاولة المحبوسة في الضوء الخافت

في الغرفة المتَّسعة، فارغة الجدران، كما أرغبُ

(كي لا يُفحِمَنِي الفراغ)

أمام النافذة ليلها تمامًا

حيث لا أكونُ

ولا يحبسني المقعدُ والضوءُ الخافتُ

أنا في البعيد أيضًا

أشاهدُ وجهك

وهو يمرُّ بقلبي

(3)

هنالك ما لا يغيب

الهواء مثلاً

وأنت.

(4)

أنا لا أصغي لكلماتك

أصغي للصوت

صوت كل مفردة على حدة

أصغي لمرور المساء فوق الأشجار القريبة

وأرى، كما يرى من يُغمض عينيه من الألم

أنَّ الجنة في الظلال

(5)

في مكاني

لا خطوةً بعد

لا خطوةً قبل

أتناقصُ حثيثاً

كمياهٍ راكدة

بعد قليل

سيأتي الليلُ المنسوجُ على هيئة غيابك،

وسأجلس مع الوحشة وحدنا

أليس هذا شبيهاً بعودة كلمةٍ إلى سياقها

لِمَ الألم إذن؟

انظر إلى الفراغ

(1)

أيها المصباح..

لماذا تضيء غرفتي إلى هذا الحدّ؟

انظر إلى الغبار،

لم أنظفه منذ أيام، ولا أعلم إن كان يهبط من السقف

أم تنثره السماء

انظر إلى المقاعد

اللمعان الذي تغرسه في لونها البارد

لا يؤخر مجيء الصباح الأكثر برودة

انظر إلى الفراغ

كان ينحْتُ مكاناً في قلبي، قبل أن تملأه بصمتك
انظر إليَّ، هل ترى أعماقي
لماذا لا تُضيئها هي أيضاً؟

(2)

ثَمَّةَ حزنٍ يجب أن يُعاش

أن ينطبع في العينين

ما دامت النظرة لا توجع نافذةً أو شجرة

أن يسير في الخطوات

ما دامت الدرب لا تسمع

ثَمَّةَ حزن بلا دويٍّ

فقط، هذه الهشاشة

(3)

ذهب الضباب الذي كان يحرسني من الرؤية

ذهبت الريح قبل أن أشبَّهها بالألم

الألم المتشقق من قلة البكاء

كم أريد أن أبكي

أن أبكي قبل أن أموت

كأيِّ إنسانٍ حزين

لا باب سيُفتح، وليس من أجل كوةٍ مستحيلة

ثمّة رمالٌ فوق صدري

ثمّة أبواب موصدة

أريد أن أطرق البرودة الصلبة بكلتا يديَّ

ربما أستطيع أن أبكي

ولو من ألم يديَّ المهشمتين

أبكي فقط

أملك العزلة وأرجاءها الفسيحة

حيث يمكن أن يكون البكاء نحيبًا شاسعًا

وقديمًا كالأعوام

ظلُّ للحظاتٍ ممزقة، أنا وروحي

هذا الظلُّ المتماسك في الظلمة

التماسك كما ينبغي في الضوء

كم أودُّ لو أجد ظلَّ الحياةِ

المتأرجح كالبنّ دول

ربما تقع نداوةٌ

فوق جفاف روحي

ربما أبكي لأنني وجدت الطيف الذي يمكن أن يُلمس

فقط من أجل قليلٍ من البكاء

أريد أن أبكي

ليس كثيرًا أن أبكي

كأيِّ إنسانٍ يبكي من الحزن

في أكثر الأماكن صمتًا

(1)

في الليلة الطويلة

الليلة البعيدة

أريد أن أكون

في أكثر الأماكن ظلمةً

كي أراك

في أكثر الأماكن صمتًا

كي أسمع صوتك

في أكثرها بردًا

كي يمسّني دفئك

فيما بعد،
سأقول إنها كانت ليلةً كاملة السخاء
لن أعبأ
أنَّ ما يسيرُ في عروقي
حتَّى آخر الليل
هو الألم

(2)

في تلك الأيام
رأيت رُوحِي، كالأرض
شاسعةً وبعيدة
مَشَيْتُهَا عَلَى قَدَمِيَّ
إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُلَمَسَ الْأَفَقُ
خَطَوْتُ فَوْقَ الْبَهْجَةِ
حَتَّى لَمْ أَعِدْ أَتَذَكَّرُ أَنَّ لِي قَدَمَيْنِ
خَطَوْتُ عَلَى الطَّرِيقِ
حَتَّى نَسِيتُ أَنَّهَا الْأَلَمُ
تلك الأيام
أيامي البعيدة
تعود كلَّ يومٍ
لتحدث كلَّ يومٍ

(4)

مثلَ موسیقی
سمعتُها صدفةً
لا أهمیَّةَ للمكان
كنتُ المكانَ المتبقيِّ لتأتي
والمكانَ المتبقيِّ
بعد انهما رها
موسیقی بألفِ عازفٍ مثلاً
تحملُ الكونَ عن ليلِ قلبي ونهاره

لم أكن وقتها جسداً
كنتُ معنًى سائباً في الكون
أبواباً تتفتَّحُ، ولم أكن لأقرعها

كانت يدي خارج ذاكرتي

مثلَ تلك الموسيقى

أنت

لا شيء أفعلهُ

(1)

ما زالت قدمايَ على تلك الطريق،

لا شيء أفعلهُ

أمام يقينكم أنني أمشي

(2)

الأماكن البعيدة
التي تجيء منها عيناك
وأنت تنظر إليَّ
أريد أن أذهب إليها
أن أمسح يديَّ
بعض حزنها
قبل أن أمضي

(3)

بإمكانك أن تكون هادئًا،

هادئًا وكاملًا

كأنَّكَ لم تكن في ذلك البكاء منذ قليل

كأنَّكَ لا تتفصُّ الآن

من ذكرى أو ندم

بإمكانك أن تنتظر الليل

لتكتب قصيدةً تحبُّها

ثمَّ تكرهها

كما تفعلُ دائمًا

بإمكانك أن تنام

مُتوهِّمًا أنَّكَ تطفئُ ما هو أكثرُ

من ضوء الغرفة

ثمّ تصحو

هادئاً وكاملاً

كما تفعلُ منذ سنين

(4)

قاس هذا الحزن
لا يتحرَّكُ من مكانه
لا يرقُّ
ليصيرَ بكاء

بمجرد أن أغمضَ عينيّ

(1)

بمجرد أن أغمضَ عينيّ، تُصنعُ الظلمة

أذهب إلى المكان الأبعد فيها وأنام

أُوجَلُ مشادةً مع العائلة

لا أفكرُ بالخلافِ الأزليِّ بيني وبين الكون

أنام طيلة النهار

والنهار يمضي في طريقه

صمتُ الغرفة وجسدي الغارق تحت الأغشية

جزءٌ من تلك الطريق

على الأشياء التي لا أريدُ أن أراها
على الحوافِّ الحادَّةِ للحياة
يضعُ النهار ضوءَهُ السَّاطِع
لا أرى الانعكاس
كلُّ ما يتوهَّجُ بيقينه القاسي
يتوهَّجُ بعيداً عن قلبي
قلبي يخفق ببطءٍ، داخل النوم

مثل جبلٍ شاهق
تنبثقُ الأفكارُ من لحظة اليقظة
بالتجاهلِ وحده، عليَّ أن أتخطَّها
وأنا أجتازُ غرفتي، حافية القدمين
باتجاه العالم
في نهارٍ قادم

حين أقوى على التحديق في السماء
سأتدبرُ أمري مع المشادّات المتراكمة
سأفكرُ أن لا خلافَ جوهرٍ بيني وبين الكون
وأنّ القسوةَ ليست من أسماء الأرض
في ذلك النهار
المُطمئنِّ بمُبرراته الهشّة
سأقرأ تحت السماء
ما أقرأه دائماً تحت الليل
الشعراء الذين أحبُّوا العُزلةَ
كما أحبُّوا الحياةَ

لا أريدُ نسيانَ هذا الشتاء

(1)

لا أريدُ نسيانَ هذا الشتاء
ولا أريده أن ينتهي
أشياء كثيرةٌ تذهبُ بذهابه
صداقتي مع المدفأة
الضوء الذي يرشحُ من الغيوم
شحيحًا ومترددًا بحيث لا يتناقض
معي
ولا مع الأرض
البردُ اللازم لأستعيدَ الإحساسَ بأبعدِ
مسامات جسدي

الشوارعُ الرماديّة الماطرة حين
تسحبها الرّيحُ إلى الخلف
لا أريد أن ينتهي الشتاء، ثمّة أوهاّم
يختلقها الشتاء
كما تَخْتَلِقُها الحاجة
وأنا ما زلتُ في كلّ يوم
أختلقُ السبب تلو السبب
لمجيء اليوم القادم
ما زلتُ أفعلُ أقلّ الأشياء التصاقاً
بمعنى الفعل
أترك مكاني للمكان الأضيق
حيثُ يكون الفراغُ أقلّ في المساحة
الصغيرة
والدّقيقة لا تحتاج دقيقةً أخرى
للمرور من أمامي

(2)

أحيا أمام ذاكرتي

لا أمام ما يحدث

حين أموت

أموتُ مثل تمثالٍ

عاشتُ فيه مئات السنين

وتهاوى من ثقلِ أعماقه الفارغة

(3)

الحجر الذي رميته

ما زال يغوص في البحر

لم يجد القاع بعد

ربما لن يجده يوماً

برودته ما زالت فوق يدي منذ سنين

وما زال على تلك الحالة

من الغرق

(4)

الريح التي تهبُّ منذ الأزل

وحتى آخر الكون

لا تأتي من خلف الجبال

تأتي من لحظةٍ في صوتك

الريح التي تمرُّ من أمام عينيك

تأتي لتلمسني

(5)

أريدُ أن أكتب عن شيء آخر
أخشى أن يبدو الليلُ حزيناً
لكثرة ما كتبتُ عنه
هل ثمة ليلٌ منسوجٌ بيدين حانيتين
موضوعاً في مكانه بعنايةٍ كما توضع الأشياء الثمينة
ومع هذا أريدُ أن أكتب بتلقائية العائد
من الخسارة
تجولتُ في الوجوه التي تعرفني
لم تعرفني حقاً
أنا عرفتُ أشياء قليلةً عن الملامح
والابتسامات والاعتذار

ربما أكتب عن ذلك
عن أصدقائي: الليل وأولئك الذين لم
أعرفهم بعد
أوفرهم لقلبي
غرباء وطيبين
ومع هذا ينبغي أن لا أقول ذلك
كي لا تظنُّوا أنني لا أبتسم
أنا أبتسم حقاً
والحياة لا تُحزنني كثيراً

القليلُ من الظلال

(1)

القليلُ من جاذبية الغموض
كان يكفي لتستقرَّ الوجوه خارج ملامحها الواضحة
القليلُ من الظلال يُكمل النقصان
القليل من الظلال فقط
تلك التلال تبدو قريبةً
لأنَّ ظلال النافذة تصنعُ ذلك القُرب
الظلال المكدَّسةُ في العيون
تفعلُ ما هو أكثرُ
الوجوه التي تصل أسرعَ من حقيقتها
لتنامَ في الظلال اللينة الدافئة

التي تحيطني من الجهات الأربع
ومن جهة السماء
التي تنمو وتتزايد وتكتمل
لتكونَ الأشياءَ التي تخصُّني
الظلال المأخوذةُ عن وجوهِ وأسماءٍ بعيدة
الظلال التي لا تشبهُ أحدًا

ثَقِيلَةٌ كَأَنِّي كُلُّ شَيْءٍ

(1)

هل تعلمُ ما الذي تفعله كلماتي؟

تُصَفِّرُ لِلْعَدَمِ

بثقةٍ وحبٍّ

(2)

هذا الليل لا يري نفسه

سال وحيداً وغريباً

من أغنيات

مكتظة بالحياة

سال عارياً ومقفرأ

كان لذلك القفر التضاريس ذاتها

التي كانت لذلك الصخب

والأغنيات

التي زالت كأنها قناع

ما أن انتهى الحفل . .

(3)

فوق ذلك الغروب

تذهب الأيام

ليس الغروب الذي على الأفق بالضرورة

ربما غروباً أقرب ويلامس اليدين

يأخذ أيضاً

كلماتي التي لم تكن تكفي

لتحرّك شيئاً من مكانه

أريدُ أن أصدّق، لا أن أرى

(1)

من قَمَّةِ الجبل
تبدو البيوت صغيرةً
من النوافذ
يبدو الجبلُ غارقاً في الضباب
أين عليّ أن أكون
ليكون الوصف دقيقاً
هشةٌ أنا أكثر مما يجب
أريدُ أن أصدّق
لا أن أرى

(2)

ماذا لو ظلّ هنا

ذلك الصديق؟

ماذا لو ظلّ يرّدّد كلماته

عن الشجر والشتاء

حتى أنام

أو ينتهي الكون

في تلك المسافة

بين الأشجار وعينه؟

وحين يذهب،

لا أسمع صوت الباب وهو يسقط

مُحدِّثًا ذلك الدَّويَّ

في فراغ العالم

(3)

سأظنُّ دائماً

أنني أحدثك وأنتك تسمع

أنني أشاهدُ إصغاء عينيكَ

كحكايةٍ تأتي من مكانٍ بعيد

أنَّ ذلك العمق

هو ما يجعلُ أنفاسي ترتبك

وصوتي يرتعش

هو ما يجعلني أتركُ أصابعي

بين يديك

وأعود بيدين

لا تعرفان ملمس شيءٍ آخر

(4)

صوتك الثقيل المتكاسل
شرفتكَ الواقفةُ أمام البحر
المقعد الفارغ جوار مقعدك
الهواء الذي يتحرَّك الآن حول وجهك
وفي وسعه أن يحرك أيامي تبعاً له
هل كانت في الحياة مثل هذه التفاصيل؟
أعرف أنَّ في وسعك إذا مددت يدك
إلى المقعد المجاور أن تلمسَ يدي مثلاً
أن أجديني آخذك من يدك إلى الشرفة
لتراني هناك
تحت كلِّ تلك السماء
أحلم بالمقعد الذي لي عندك

بالهواء الذي يتحرَّك تبعًا لوجهك

بأنَّ يدك التي مسَّت يدي

عند الشرفة

كانت حقيقة

(5)

أَغْمَضُ عَيْنِي حِينَ أَتَذَكَّرُ.

لَا أَدْرِي كَمْ أَغْمَضُ عَيْنِي

وَجْهَكَ يَأْتِي مِنْ لَيْلِكَ الْبَعِيدِ

لَأُرَاهُ

خَطَوَاتِكَ تَقْتَرِبُ

سَأَغْمَضُ عَيْنِي عَلَى وَجْهِكَ

أَخْشَى أَنْ فَتَحْتُهُمَا

أَنْ يَخْفَتَ صَوْتُ خَطَوَاتِكَ

(6)

لو أنني أملك الأثر الذي لا يزول

لما ذهبتُ

كنت عانقتُ أشجار الطريق واحدةً واحدةً

ليس لأنَّ ظلال الأشجار ستغمرك حين تمرُّ

لأظنَّ فقط

أنني جزءٌ من تلك الظلال

وأنك تدرك ذلك

لأنّ الوقتَ مسافة..

(1)

ما زلتُ أسيرُ على رؤوسِ قدميّ
لا لأنني أخشى أن تدوسَ قدمٌ أخرى قدمي
بل خشيةً أن تدوسَ قدمي ظلًّا ضئيلاً
لكائنٍ ضئيلٍ
يسيرُ إلى جوارِي صدفةً
على حافةِ الحياة
بمحاذاةِ الألوان والهدير
في الظلِّ الهامد على جوانب الأرض
الذي يشبهُ الانمحاء

وَيُمَهِّدُ الطَّرِيقَ

بَيْنَ الْهَامِشِيِّينَ

وَبَيْنَ الْمَوْتِ

(2)

أنتَ السائرُ في الطرقاتِ الغريبةِ

ما زلتَ تسيرُ؟

أنتَ لا تشاهدُ المسافاتِ بيننا

أنا أشاهدُ البحرَ

وهو ليس جميلاً حين يكون مسافة

أشاهد المدنَ الجميلة

والمدنَ الحزينة

أشاهدُ الوقتَ

لا لأنَّه يتساقطُ خارجَ النوافذِ بلا سببٍ

بل لأنَّ الوقتَ مسافة

وأشاهدك أنتَ

تسير في الطرقات الغريبة

لماذا تسير كثيراً؟

أنا أسمع وقع قدميك

كلّما أصغيتُ لقلبي

الورقة بيضاء وعميقة

(1)

ليس بإرادةٍ كاملة
أجلسُ أمام الأوراق
الورقةُ البيضاء عميقةٌ واسعةٌ كالبحر
ماذا في وسعي أمام الأعماق التي لا أراها
أحتاجُ ما هو أكثرُ من جِيشانِ الحزن
لكي أغسلَ قدميَّ من المكوثِ الطويل
والمكان الواحد
أحتاج الكثير مما أجهل
لأعرف شيئاً عمّا يجري في روحي

كيف إذن سأدخلُ المجهول
لأعرف ماذا كان يريد
داخلي الكثيرُ من الأبواب المغلقة
لم تُفتح من تلقائها
وأنا لا رغبةَ لي
سوى أن أغادر ذلك كلهُ
أن أسير وأسير
حتى ترتطم يداي بالأفق
ليس على أن الأفق هو التطلعُ
بل على أنه النأيُ
ثم الوصول إلى لا شيء
سأتحدث مع نفسي كثيرًا في الطريق
سأتخيّل أنها الورقةُ البيضاء والعميقة

ولن أجيبَ من يسألني: إلى أين، ولماذا
آلافُ الأعوامِ مرَّت من أمام تلك الجبال
وهي لا تتذكَّر شيئاً عنها
ربما لهذا فقط
ظَلَّت واقفةً آلاف الأعوام
في مكانها
في الفراغ

(2)

أَيُّ قُوَّةٍ لِلزَّمَنِ

لِلْحِظَاتِ الَّتِي تَنْقُضِي

حَيْثُ السَّرْعَةُ لَا تَعْنِي الْخَفَّةُ

وَلَا الزَّوَالُ

مِثْلُ مَا تَلْقَى مِنْ خَلَالِ آثَارِهَا

السَّاعَاتُ الْمُنْقِضِيَّةُ

مِثْلُ ذَرَّاتِهَا الْمُبْعَثَةِ

الكَثِيرُ مِنْهَا كَانَ يَتَسَاقَطُ

الَّذِي أَنْحَنِي لِاتِّقَاطِهِ هُوَ الْقَلِيلُ

الكَثِيرُ يَتَبَيَّنُ فَوْقَ أَصَابِعِي

مِثْلَ طَرَقَاتٍ عَلَى أَبْوَابٍ مَفْقُودَةٍ

الكثير الحارق كرمال
لا تتحرّك تحت الشمس
والقليلُ الذي يقف أمامي كـرغبةٍ حيّة
انكسرتُ مرارًا
وما زالت قويةً لتكسر
الكثير المليء بالوعورة
كالارتهان
كالحواسّ التي يُرَمِّمها النوم
وتُسكتها اليقظة

كلّ ذلك لا شيء

(1)

التشبُّث الذي يُثَقِّنُه قلبي

لا تعرفهُ يداي

أفتحُ عينيَّ لتؤكِّدني أشياءُ الغرفة

والوقتُ الذي كان هنا قبل أن أغفو

أتبعُ أيَّ حقيقة زاهية

حتى لو كانت بلا معنى كلون الستائر

ولكن، كلُّ ذلك لا شيء

ما زلتُ في مكاني

لم أدرك بعد معنى التشبُّث

ولديَّ ذاتُ العينين

واليدان
اللتان تُعيدانِ لَمَسَ الأشياءِ
بذاكرةٍ فارغةٍ
هذا لا شيء أيضاً
ما زلتُ أريد أن أحيا الحياة
بسكون
حيث كل حركةٍ صغيرة
تخدشُ رمالَ ذاكرتي وتعلّمني شيئاً
مثل هذه النافذة
كانت تأخذني إلى السماء
وإلى اسوداد الغيم أحياناً
قبل أن تكون إطاراً عارياً
للأيام المتعاقبة
الآخذة بالشحوب

العابر بمحض الصدفة

(1)

أيتها العابرُ في طريقي

بمحض الصدفة

أيتها العابرةُ كأغنيةٍ قصيرةٍ

في شارعٍ طويلٍ

لا حاجة للقاءٍ آخر

بعد كلِّ هذا الحديث

لا حاجة لاسمي أو اسمك

لا أريدُ أن تعرف

لا أريدُ أن أعرف

ببساطة

الذين أعرفهم

هم الغرباء

(2)

أغمضُ عينيك

سأنمحي في تلك الظلمة

انظرْ حولك الآن

الحزن الهادئُ مكانَ نظرتك الصاخبةِ

هو أثري

أنت لا ترغبُ في محوهِ

وأنا أيضًا

(3)

لستُ خلف أيِّ باب

لا ظلَّ للحائط على ثيابي

لا أثر للطريق فوق قدميَّ

ذاكرتي خفيفة

لا أعرف معنى

للمصباح المعلق في الأعلى

لا أذكر هيئة الكون من قبل

لا أعرفُ هيئته حين تذهب

فقط، المصباح

المعلق في الأعلى

يظلُّ في الأعلى

طيلة الليل

يطرد العتمة

برتابةٍ وسكون

أُصدِّقُ اللحنَ الخرافيَّ

(1)

مثل فظاظَةِ البرقِ على الأرضِ الخالية

لحظةُ اليقظةِ تلكِ

حينَ تلمعُ في القلبِ

آخرُ حقائقِ الليلةِ الماضيةِ

تلكِ التي أغمضتُ عينيَّ عليها

قبلَ أنْ أنامَ

وجهُكَ البعيدِ

(2)

مرّ بسلام

موتُ الأمانة اليتيمة

لن أتَحَسَّسَ ملامحي الآن

غداً يذهبُ الموتُ يوماً أبعد

بعد غدٍ يومان

وهكذا

وهكذا

(3)

(قصيدة على ورقة)

مُعَلَّقَةٌ فِي الْهَوَاءِ

تلك الورقة

مُعَلَّقَةٌ وَصَامِتَةٌ

بسطورها الثقيلة

دون رِيحٍ كافيةٍ

لِتَنْقَلَّهَا إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ

دون ثباتٍ

غير ثباتِ الاهتزاز

مُعَلَّقَةٌ وَصَامِتَةٌ

ولا يبدو أنها مُرَشَّحَةٌ لِلسَّقُوطِ

أو التمزُّق

فقط الاصفرارُ تحت الشمس

والضالةُ من جهة الأرض

(4)

أُصَدِّقُ اللّٰحْنَ الخِرافِيَّ لَتلكَ الأَغنية

أُصَدِّقُ الخِشوعَ الَّذِي يُصِيبُ الهِواءَ

أُصَدِّقُ ما يَفْعَلُهُ بِقَلْبِي المَغْنِيَّ الضَّرِيرُ

أُصَدِّقُ يَدَهُ المَبْصِرَةَ

ولا أُصَدِّقُ الكَلِماتَ :

«الأَرْضُ بِتَكَلُّمٍ عَرَبِيٍّ»

(5)

هذا الذي تحتَ السماء ليل

الذي تحتَ الليل بيت

في البيت صوتُ خطواتٍ تذهب

أنا إحدى هذه الخطوات

رأيتُ هذا في قلبي

كنت أسمعهُ اليوم

كلما سمعت صرير الباب

(6)

أَكْتُبُ لَكَ

لأستعيدَ معنى الكلمات

المعنى اليقين

المعنى الأثر

الأثر الذي لي

على الأرض

(7)

ماذا أفعلُ بالوقت

حين لا تكونُ هنا؟

هذا ما يحدثُ،

هذا كلُّ ما يحدث

أنتَ لستَ هنا

والوقتُ يبلى أثناء وقوفه

ما زلتُ أريدُ المرور من هناك

(1)

هذا الألم أريده كلَّ يوم

كما أريدُ وجهك ويديك

هو وجهك

وهو الأرضُ الشاسعة أمام قلبك

حيثُ أكونُ وحيثُ أغيب

هو أن أكونُ أنا خطواتي لتسمعها

وأن أكونُ إصغائي ليناديني صوتك

(2)

القليلُ من صمتك

أرضٌ مهجورة

ضئيلةٌ أنا في المجهول المترامي

ضوء آخر كلماتك يرتعش تحت الريح

لا تصمت أكثر

لا تلوح لي بيدك من ذلك البعد

أعرفُ الريح التي في يدك

الضوءُ المرتعشُ يرتعش أكثر

وأنت لا تسمعُ صوتي

الخائف من المجهول والظلام

(3)

لا أسأل، أفكر

المدينة حين تأخذُ ليلك منها

وتغادر كيف تبدو؟

كيف يكون الشارعُ

حين يُرافقك إلى الباب

وحين يعودُ وحده؟

البابُ حين تأخذ يدك منه

البيت

كيف يحتملُ أن تغمرهُ الحياةُ

على ذلك النحو المباغت؟

(4)

لم نمشٍ معًا في ليلةٍ كهذه
لم أسمع صوتك في صوت الليل الأزليِّ
لم تقف عند عمود الضوء
لتنظر في عينيَّ
لم أشاهد ظلك مطبوعًا
خلال هوائه المضيء
لأظنَّ أنه لن ينمحي أبدًا
لم نمشٍ معًا في الليل
الليلُ يمشي وحدهُ
منذ آلاف الأعوام

(5)

قليلٌ من الحزن العاديِّ

كي أحسَّ أنَّ الكون صامتٌ

هذه الليلة

أنَّ البيوت ذات النوافذ المضاءةِ

لا يملؤها الضوء

أنَّ السماء بعيدةٌ أكثر مما ينبغي

عن حوافِّ النوافذ

أنَّ الليل يقف تحت السماء منذ وقتٍ بعيد

وسيزلُّ واقفاً حتى وقتٍ بعيدٍ أيضاً

قليلٌ من الحزن العاديِّ

كي أنسى ما لا ينبغي نسيانه

كي أتذكّر ما لا ينبغي أن أتذكّر

قليلٌ من الحزن العاديّ

كي أبكي

لأنّ وجهك البعيدَ

بعيدٌ أكثر مما أطيق

(6)

أنظرُ بحزن

إلى ما قالته لك قصائدي

كان باهتًا وقلقًا

كما يكون الصدى عادةً

أنت لا تهمل شيئًا

أنت فقط لم تنتبه

ومضيت في طريقك

بالقوة التي يصنعها النسيان

كنت تطأ الأرض التي تحملني

(7)

بذلك الوجه، بتلك اليدين
ستهدي نفس الأغنيات
وتتحدّث بذلك الصوت العميق والمُجهد
هل يسمع صوتك أحدٌ مثلي؟
ستكون عميقاً وجميلاً
كما كنتَ دائماً
وتقول نفس الكلمات
تفعل نفس الأشياء
بنفس الطريقة
التي تجعلني أبكي

الانعكاس العائد إليّ من بعيد

(1)

لا أفعل الكثير من الأشياء
التلقائيةُ تفعل ذلك
كما لو أنها شخصٌ ينوب عني
أمّا روحي
فهي الانعكاس العائد إليّ من بعيد
ضبابيًا ومتعلّقًا بيدٍ أخرى
كشيءٍ يوهب
ثمّ يُستعاد

مرّة بعد مرّة

يُستَعَادُّ

ويوهَب

(2)

ثلاثون يومًا كانت الغرفة مطفأةً

البابُ والستائر لتحجب ضوء النهار

ومع هذا، حين أشعلتُ النور

أضاء كلُّ ركن

كأنَّ الغرفة لم تُظلم من قبل

ذهبتُ ثلاثون يومًا من العتمة والنسيان

أين ذهبتُ؟

لو أنَّ للجدران ذاكرةً

كنتُ سألتها

(3)

مثل كلّ ليلة

لا يريدُ أن ينام

الأشياء القاتمة الرقيقة

التي يستطيعُ مناداتِها بأسمائها المُلتبسة

وتكون مألوفةً في الليل، كصديق

تكون عدوّاً

في الصباح

(4)

هاتفٍ مغلق

وجرس الباب معطل

لو جاء أحدٌ

يستطيع النقر على برودة الباب ربما

لكني لن أتحرك من مكاني

سيفكر أن لا أحد هنا، وهذا حقيقيٌّ تمامًا

وسأُتخيله وهو يغادر مع تلك الطرقات

قبل أن تتلاشى

وهكذا

هواءٌ واحدٌ يرفرفُ

في سكونِ الوحدةِ المطلقة.

(5)

شخصٌ ما سارَ على هذه الطريق
مِنْ كلِّ خُطواتِهِ
خُفِرَتْ على الأرض
خطوةٌ واحدة
الخطوةُ التي حمَلَتْ التفاتَةَ وجهِهِ
نحو الأفق
عند الحافَّةِ الأكثرِ صمْتاً للسماء
حيثُ كانت العتمةُ تبدأ
والنهارُ الذي تَرْنُ فيه تلكَ الخطوات
يتلاشى .

(6)

سواءٌ كانت تلك غيبوبةً قصيرةً

أم دربًا من خطوتين

أنا أريدها

لا أريد أن أعود إلى نفسي وحدي

تُرعبني فكرة الدُّخول إلى كهف

(7)

كلما توقفتُ

ينزل الوجود من عينيَّ

كراكبٍ ينزلُ من حافلة

لكنّ البيوت واقفةٌ قرب ظلالها،

والأشجار تقرع أبواب الفصول

دون كلل

السرّاب في عينيَّ

كان عليَّ أن أعرف

السرّاب

في

عينيَّ

(8)

تَصَادَفَ أَنَّنِي حَزِينَةٌ هَذَا الصَّبَاحَ

بِلا سَبَبٍ

وَبِأَلْفِ سَبَبٍ

أَنَّ الْجَوَّ غَائِمٌ قَلِيلًا

أَنَّ الْأَشْجَارَ تَهْتَزُّ

وَيَخْبِرُنِي اهْتِزَازُهَا أَنَّ الْهَوَاءَ الْبَارِدَ

لَيْسَ وَحْدَهُ السَّبَبُ

تَصَادَفَ أَنَّنِي لَا أُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ

وَلَا أُرِيدُ الْخُرُوجَ تَحْتَ السَّمَاءِ

تَصَادَفَ أَنَّ الْأَغْنِيَةَ الْآتِيَةَ مِنْ بَيْتِ الْجِيرَانِ

كَانَتْ قَبِيحَةً، تَشْبَهُ يَوْمًا قَبِيحًا وَغَائِمًا

لا أذكرُهُ تمامًا

لكنَّه يومٌ مضى

مثلَ أيامٍ كثيرةٍ مضتْ

كانت حزينَةً بلا سببٍ

وبألفِ سببٍ

سياق آخر

(1)

ما زلتُ أنتظرُ سياقاً آخر

يملاً الاتّساع المُطلق

الذي تسلكهُ رُوحِي كلّ ليلةٍ

وتعودُ منه

دون أن تراه

(2)

ينقصني الكثير

لأحدثك عن نهارٍ يمضي دونك

ينقصني أكثر

لأكون في ذلك المكان

حيث السماء التي ترى

هي نظرتك المصوّبة نحوي

أستطيع أن أكتب عن شمسٍ شاحبةٍ

أمام النوافذ،

عن شوارعٍ مؤجلةٍ خلف الباب

أستطيع أن أكلم اسمك

على الأقل

أرى أيامي الذاهبة تُلوِّحُ لي

على الأقل

همسُ تلك الرياح

لكي أحيا

نجهلُ ما تخبّي الظلّمة

(1)

نجهلُ ما تخبّي في أعماقها

تلك الظلّمة

المتحركة كما نتحرّك

التي أحياناً نسمّيها الظلّ

نحن نرى الظلّمة ولا نعرف

أنها كانت الشيء قبل أن يُعتم

ذلك الذي ربما حاولنا محوه

ربما حاولنا فهمه قبل محوه

ربما حاولنا قوله، وأخفقنا مرارًا

كما سنخفق مرّات قادمة

في رؤية ما ضاع

في القيعان المُعتمة

(2)

في كلِّ مرَّةٍ أتحدِّثُ عنكَ

يرتجف قلبي

ربما من الحزن

ليس مهمًّا

الرَّيحُ التي تأتي

ستجدُّ لديَّ حزنًا لتأخذه

الليل سيجد قلبي ليرتجف أكثر

الوقت يسير بلا توقُّفٍ ليشبه ديمومتك

ما كان قاسيًّا يكون رحيماً

بالهواء الذي غَمَرنا ذات يوم

بالكلمات التي ظلَّ فيها صوتُك

أخاف أن أنظر حولي

(1)

أخاف أن أنظر حولي

ذلك الذي يملأ المسافات

كبيوتٍ مهجورة

حياتُنَا

التي فاتنا أن نحياها

(2)

لو أنَّ للوجود يدين
لقلت إنني سقطتُ من يده
في يومٍ بعيدٍ
في يومٍ عاديٍّ، سقط هو الآخر
من يد الوجود
وأنني لستُ فوق الأرض
أنني تحتها بقليل
أنَّ أصوات العابرين حولي تهترئ
كأنها خرجتُ من أفواههم منذ سنين
لو أنَّ للوجود يدين
لقلت له إنني أريد أن أسقط من يده

أريد أن أسقط من يدي أيضًا
يدي التي ظلّت تطرق الأبواب التي لا تُفتح
وإن فُتحتْ
لا تُفضي إلى شيء

(3)

مساءً دون عینیک

دون ما یصیب قلبی

لو امتلاً المكان بك

دون ما یصیب المكان

دون ما یصیب اللحظة

دون ما یربط قلبی بالمكان

باللحظة

بالأبد

مساءً دون عینیک

مساءً فقط

مساءً

تستطيع أن ترى الهشاشة

(1)

ذلك العالمُ الحقيقي
في مدينتك الحقيقةِ
الحقيقةِ كملامحك وأصدقائك
كما تتنفسُ وتنامُ
أنا أراك
أنظرُ إلى ذلك كلهِ
من مدينتي الهشةِ
الهشةِ أيضًا، لأنك لا تعرفها
الكلامُ الذي قلناهُ

لا يجفُّ في الطريق
الحبُّ أيضًا، والحزن
تستطيعُ أن ترى وجهي وقلبي
ترى البهجةَ وهي تخبو سريعاً
ترى الهواء يتعشَّر عند النوافذ
تستطيع أن ترى الهشاشة
في ذلك كلّ
سوف تراها
فوق يديّ أيضًا
من عمق مدينتك الساطعة

(2)

ثَقِيلُ هَبوطُ المساءِ

مشهدُ النافذة الذي لا يغادر مكانه

آثار الضوء المتبقي في الغرفة

وهذا الذي يثقل فوق يدي

فراغها من يدك

لماذا لا يمرُّ المساء.. ؟

شيء من الوقت

(1)

اللحظة التي قسمتني إلى نصف قبلها
ونصف بعد اختبائها في رئة الهواء
تلك اللحظة المثقوبةُ
حفرتْ هوةً في قامة الوقت
غاصتْ الهوةُ وصارت تكرارًا
تحدقُ عينه الواسعة بي
وأحدقُ في أقدام الوقت
يباغتنني خذلانٌ قديمٌ يسكن خطواتي
أخشى أن يقطعَ آخرَ وترٍ بيني
وبين المدى

(2)

اللحظة التي لم تصل
هوت من السماء نحو كفي
ملاً ضوءها عيني لحظةً
وانسكب منها كالبراء
تلك اللحظة كانت ستسقط فوق نهاري
لو لم يكن نسيجه ركيكاً
مثل نسيج يدي

(3)

اللحظة التي أمسكتُ بمائها وترابها
سَوَّيْتُهَا تَمَثَّالًا مِنْ بِياضٍ وَأَطْلَقْتُهَا نَحْوَ الْجِبَالِ
لَتَنْفَخَ فِيهَا مِنْ كُلِّ رِيحٍ رَوْحًا
تِلْكَ اللَّحْظَةُ الْمُضَاءَةُ
اللحظة البعيدة
لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الْكَوْنَ يَسْعُ مِنَ الرِّيحِ
مَا يَكْفِي لِيَبْعَثَ رَوْحَهَا فِي نَهَارِ ذَابِلِ
وَمَا يَكْفِي مِنْ ذَبُولِ اللَّحْظَاتِ
كِي تَنْطَفِئَ

(4)

اللحظة المدفوعة بالأبواب

اللحظة التي نكأتْ سُبَاتِ الظلال

لا لتُساكن غبار العتمة، ولكن

لتعيد نسجَ خيوطها في أصل الأشكال

حتى تلك اللحظات السابحةُ في أنفاس الغيب

لن تنجو من عين إبرتها العمياء

(5)

اللحظة التي يخبسها الغبارُ فوق زجاج النافذة
هي ذاتها اللحظة التي أحتاجُ مَحَوَّها عن حوافِّ نومي
لأَعْرِيلَ لحظةَ اليقظة من غيوم السقف
لأوقف الخواء الزاحفَ بين حواسِّي الخمس
وبين مفاتيح الباب
لتعيدني روعي إذا ابتعدت

(6)

اللحظة التي تطرد الماء من صوتي
والمكان من سمائه
هي اللحظة التي أحتاج أن أغسلها عن أصابعي
كي أعتق النافذة من إطارها وزجاجها
وأطلقها بين أنفاس الريح
كي تُوازن بين فضائها المبتور
وزرقة السماء

(7)

اللحظة المعبأة في تلك الصورة

اللحظة التي ألبستها هيئة البريق في عينيّ

والبسمة الموزعة بين وجهي الذي خبأتُ ترابه

ووجهي الذي مثلَ الدَّور أمام العدسة

تلك اللحظة لم تكن تكفي

لتمنح الأشجار الواقفة في قاع الصورة

بعضَ الاخضرار

(8)

وجهي الذي أُلْمِلِمُ ملامحه من عيون الآخرين
وأنسى خطاي في ساحته البهيجة لبعض الوقت
ليس هو ذاته

الوجه الذي أراه أمامي في المرأة

ألم أقل بعدُ

إن الزمن يتكدس في الجمادات

على هيئة اهتراء؟

(9)

وَدَدْتُ لو أُسْتَطِيعُ
أَنْ أُمْسِكَ بِيَدِيَّ تِلْكَ اللَّحْظَةَ
اللَّحْظَةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا الطَّائِرُ فِي عَيْنِهِ
وَهُوَ يَهْمُّ بِالتَّحْلِيقِ،
وَهُوَ يَحْلُقُ،
ثُمَّ وَهُوَ يَتَنَاءَى حَتَّى يَنْمَحِي مِنْ عَيْنِ خِيَالِهِ
وَيَنْسَكِبُ فِي خِيَالِ الْفَضَاءِ
وَدَدْتُ لو أُمْسِكَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ بِيَدِيَّ
أَوْ يُمْسِكُهَا قَلْبِي
تَمَامًا
كَمَا أُمْسَكَتْهَا عَيْنَايَ

(10)

أَيُّ طَيِّ لِّلْوَقْتِ ذَلِكِ الْمَاثِلِ

فِي طِرَادِ عَقَارِبِ السَّاعَةِ الْوَاحِدِ وَرَاءِ الْآخِرِ

فِي تَبْدِيدِ مَرْوَحَةِ السَّقْفِ لَصَفْحَةِ الْهَوَاءِ

فِي الدَّوَالِيبِ

فِي رَقْصَةِ الدَّرُوشِ الَّتِي تَضْمُرُهَا أَسْمَاءُ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ

فِي الدَّائِرَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا حَوْلَ ظِلِّهِ طِفْلٌ عَجُولٌ

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّهُ الظِّلُّ

فِي خُفُوتِ رِثَةِ النَّائِمِ

فِي الْخَوَرِ الَّذِي يُصِيبُ يَدَيَّ

حِينَ أُعَدُّ حَوْلَ نَفْسِي

لَأُمْسِكَ طَرَفَ الْخَيْطِ الَّذِي يَلْفُ وَتِيرَتَهُ الْقَسْرِیَّةَ

حولَ عنقِ الوجودِ
ويجعلُ الزمنَ دائريًّا
أيُّ طيٍّ للوقتِ
حينَ يجلسُ النسيانُ فوقَ الطاولةِ
ويختبئُ التذكُّرُ تحتَ السحابِ

(11)

في تلك الدائرة التي رسمها حول ظلّه طفلٌ عجولٌ
ثم غادرها كأنه الظلُّ
رأيتُ مآلَ اللحظات
رأيتُ أغصانَ أيامي تَنجَدِلُ كأنها غصنٌ وحيد
تتكئُ عليه عيونُ تلك الدائرة
رأيتُ نُفُوقَ الأيام
يَتَكَدَّسُ في الجمادات
على هيئة اهتراءٍ حثيثٍ
وخفيٍّ

بلا سبب واضح

(1)

ما من ضالةٍ أكثرُ

مرةً بعد مرةٍ

أكونُ هناكُ

في المكان الفارغ من نفسي

قرين الأزل

وليد انتباهتي الأولى

المكان الذي أُفرغ منه الوجود

وبنى الكونُ حوله رُوحِي

الأعماق السحيقة

لما مرَّ خاطفًا
وما أعاقه جبلٌ أو حصاة
إذا قرعتُ أسواره
لن تهزَّ شجرةٌ ظلَّها
لن تلتفتِ الوجوه القريبة
مكانُ اسمه البسيط
الوحشة

(2)

كلّما مشيتُ في الشارع

أخشى أن أصادف حزينًا

يطردُ المارّة

من عينيه

يطرد الشارع من عينيّ والمارّة

تصير الطريقُ

وقعًا طويلاً

لخطوته الضيّقة

(3)

هناك ما يثقلُ فوق جناح الفراشة

لو كان الهواء

لاستعارت له جناحين

من خيال تلّةٍ

لو كان الغبار

لألقتُ شرقها في غرب الريح

لتغربل الصفاء

هناك ما يثقلُ فوق جناح الفراشة

لا تعرفه

لكنّ الساعة المعلقة في جوف السماء

ما زالت تدقُّ

(4)

إذا أشعلتُ من الأضواءِ

أكثرَ مما يُبعدُ السقفَ

فلكي لا أرى

(5)

فجأةً

تمتلئُ بك ذاكرتي

في النهار المكتظّ،

النهار الفارغ

حين تنتشر الظهيرة المشمسةُ تحت السماء

بالدويّ الذي أعرف

وحين تنسحب كما لو أنها مجرد لون

تاركةً المكان الضبابيَّ لي كلّهُ

فجأةً

يمتلئُ بك قلبي

(6)

الزهور على الطاولات

المقهى فسيحٌ وهادئ

ستأتي بعد قليل

وبعد قليلٍ تذهب

لن تذبل الزهور فوق الطاولات

والمقهى لن ينطفئ

ولكن ثمة ضوءٌ في عينيَّ

ما كان لينتهي

لو بقيت أنتظر

(7)

لا أحدثك عن النوم

ضبابي كالنعاس

عن اليقظة

شحيحة حين لا يتعلّق الأمر بك

عن قلبي

يخبرني أنّك كنت فيه منذ عصور

عن تلك النغمة في صوتك

النغمة التي لا تُمسُّ إلا بالروح

التي كانت حفيف الهواء حولي

قادمًا من أيامٍ وأماكن بعيدة

أحدثك عنك

عن أيامٍ وأماكنٍ بعيدة

عن حفيف هواءٍ

كان هنا قبل أن تأتي

صار هنا حين أتيت

أحدّثك عن حياة لنا

كانت

قبل هذه الحياة

(8)

كاذبةٌ هذه البهجة

مصطنعةٌ

وحزينةٌ

كبيتٍ كبير وفارغ

تتداعى إذا لمستها أصابعي

تتكسر كالزجاج

كلّما نظرتُ إلى الأرض

حيث أقف

(9)

اترك لي الكثير من كلماتك
كلماتك تحبُّ طريقها إليَّ
بالأمس سارت في عمق الليل
وأيقظتهُ

هل تسمع
هل تسمع الموج؟
أنا أسمعهُ

قادمًا من الليل
ليُلنا الذي ظلَّ هناك
لم يغادر مكانه

على الدرب التي لم تكن

(1)

لا أحرّك تلك الرواسب من مكانها

أنظر من بعيد

وجوه

أصوات

وأَيَّامٌ ذابِلة

في العُمق الذي لا يذبل

لا أتحدّث عن المودّة أو الأسى

أنظرُ فقط

إلى العمق الذي أخشى أن يذبل

ليس أمامي

ما أستطيع أن أنظر نحوه

(2)

ما كان كبيراً مثل جبل غامض

لم يكن ثقیلاً كالموت

لا لسببٍ

سوى أنه الحياة.

الأماكن هي من يستثقل الفراغ

أنا لم أقل شيئاً

فقط تحدثتُ عنك للنافذة

لتكبر الحديقة

تحدثت عنك ليل طيلة الليل

تحدثت عنك للريح

لتكون طريقاً

وتحملني إليك
على الأقل
تومئ أنها ستحملني إليك

(4)

تتحرك بقوة ستائر النافذة

هذا المساء

خفيفةٌ هي ربما

مكوّنها الطويل في الفراغ المتعدّد

جعلها خفيفةً

والذي يحركها هو الهواء البارد

وليس الحنين

مَن قال إنه الحنين؟

كانوا ينادون

(1)

كانوا ينادون

آخرُ نبراتهم ما زالت رطبةً

آخرُ سماءٍ مَسَّتْها أصواتُهم

تلك التي ما زالت زرقاء

كانوا ينادون

يُدفِّئون أصابعَهم

بنقرٍ خفيضٍ على الباب

كانوا يعشقون صوتَ أيديهم

وهو يعود من الأبواب

مَنْ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَرِيدُونَ جَوَابًا

قَبْلَ أَنْ يَحْلَّ الصَّمْتُ

ثُمَّ

حَلَّ

الصَّمْتُ

من الموسيقى

(1)

من الموسيقى التي تحبُّها، من القصائد

من رسوخ الأشياء التي تشبهك

يَنبني المجهولُ الأكثر ألفَةً من بيت

الطمأنينةُ

التي لن تكون لي أبدًا

(2)

يَتَقَدَّمُ فِي الشَّارِعِ

يَتَقَدَّمُ فِي الْفَرَاغِ

يَتَقَدَّمُ عِبْرَ الْهَوَاءِ

يَتَقَدَّمُ عِبْرَ أَنْفَاسِهِ

يَتَقَدَّمُ خِلَالَ جَسَدِهِ

يَتَقَدَّمُ تَحْتَ الشَّمْسِ

إِنَّهُ يَسِيرُ

يَسِيرُ لَا أَكْثَرَ

يُلاحِقُ صَوْتًا

يَتَرَجَّعُ

فِي أَعْمَاقِهِ ..

قلْ شيئاً للصدفة

(1)

قلْ شيئاً للصدفة، لتغدو طريقاً

قلْ الكلمات التي دفتتها الرمال

خُلقتُ لِأُصْغِي

إن لم يكن لك، للخفقان الخفيف

الذي يؤرجحُ الهواء

المسافاتُ ليست على الأرض

المسافاتُ ما ننسى أن نقوله ثمَّ يسقط في النسيان

الشوارعُ تغادر المدنَ في كل لحظة

تأخذُ وتُعيد

تأخذُ وتؤلّم

الأبواب أيضًا تُفتحُ وتُغلق آلاف المرات

من تلك الحركة المستمرة كالزمن

تتعلم البيوت الحنين

هل لمست الباب لتغلقه خلفك؟

يصرُّ كالألم، أنا أسمعهُ

محفورٌ في أيامي منذ الأزل

ذلك الصدى

(2)

ليست مجرد كلمات

كنت أظنُّ أنَّ بإمكان القصائد أن تحتفظ بالزمن

وأنَّ الزمن يبقى هناك، ليكبر، ويشيّد نفسه مثل بيت

ثمّة أزمنة تخللت قصائدي

أزمنة حارقة، كانت تبدو أبدية كالسما

ثمّة أزمنة من الحزن

من الرحيل من الألم إلى خارجه

أردتها في هذه اللحظة، ملاذاً

ولكن ليس ثمّة جدران ولا بيوت

لا شيء غير الكلمات الماضية في الذبول

لا أرض هنالك غير هذه الأرض

لا سماء غير السماء المتباعدة أكثر
الزمن الذي ظننته مكاناً حين أهجرت الأمكنة
تلاشى
تلاشى الزمن الذي ظننته بلاداً
لا تزول

(3)

ليكنْ خطوُكَ خفيفًا حين تذهب

ليكن خفيفًا حين تعود

لا تتعلم شيئًا من الشمس

امنحني سلامك الذي يُدْفئ مثل وشاح

الكلمات التي تجعل المعنى قريبًا ومستحيلًا مثل حافة

أَلسَتِ أنتِ من غادرت الأماكن التي بقيتْ؟

أَلسَتِ أنتِ من يعود إلى الوتيرة الهوائية لأيامنا

ليكن سلامك خفيفًا، وخطوك خفيفًا

مثل تلك المنعطفات الصغيرة

التي في روحي ..

لم أكن سوى عابرة

(1)

لم أكن سوى عابرة، وابتسمت لي
تلك المرأة العجوز
كما لو أنني مررتُ من أجل ابتسامتها
كما لو أنها كانت تجلس أمام الباب
لتمنح ابتسامتها لأبنائها
الذين سيمرُّون بالصدفة
في الشارع الشبيه بفتات الكون
من أيِّ يوم في عمرها تناولت تلك الطمأنينة؟
من أيِّ قلبٍ نجا بعد ركّام التجاعيد

مرّري ابتسامتكِ على عامٍ في حياتي

أيتها الأمُّ الغريبة

مرّريها للغرباء الذين سيُعرفهم قلبك

لمرّةٍ وحيدةٍ

دعي الإنسانية تجرّحهم

دون ألم

(2)

فوق هذا المقعد

يتكوّم ثقل عامٍ كاملٍ

يمكنني أن أرى الجذور المميّنة في عمقه القريب

يمكنني أن أرى كيف كانت الأيام

تسير تباعاً

نحو أعماقها المتشابكة

وتنطفئ

مثل صفّ مصابيح متماثلة

ممتنة للأبواب التي يمكن غلقها

(1)

ممتنة لبكاء الأطفال الذي لا يصل إليَّ
للنزاعات التي تترك ليلي يمرُّ دون أن ترتطم به
ممتنة للحزاني
الذين لا أرى في عيونهم سوى معجزة اللون
للدروب التي لا أصادفُ فيها تائهاً، أو وحيداً
سوى الأشجار
ممتنة للأبواب التي يمكن غلقها
وللجدران التي لا تشفُّ

(2)

بالصمت وحده أشيّد عالمًا من ساعتين

بصمت الدمى والجماد

بالكمان المتوتّر في الخلف

مثل ربحٍ خفيفة تنظّف الليل

بالفراغ المُمكن للانحدار عميقًا

وبعيدًا، أبعد من الجهات

والعودة دون نقصان

حيث لا يكون المرئيّ سوى ذرّات تفسح الطريق

لمزيدٍ من الظنّ أنّ هذا الهدوء

جزءٌ من سَكينةٍ يغفو فوقها العالم

هذا هو كلّ الصمت، الخارج المطفأ

الموسيقى التي خَفَّتْ، الأيام التي تذهب

ثمّ تحيا في الأعماق بهيئةٍ مختلفة

هذا هو الصمت

لن أمدّ أصابعي لأنقر الزجاج الضبابي

من يريد أن يسمع في الهدوء

أصوات الآلام

التي ستلبّي؟

(3)

لَمْ تَكُنِ السَّمَاءَ قَرِيبَةً فِيمَا مَضَى

لَأَقُولَ لَهَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ

عَبْرَ أَلْفِ طَبَقَةٍ مِنَ الظَّلَامِ:

كَمْ أَنْتَ بَعِيدَةٌ

أَيْتَهَا السَّمَاءُ

(4)

كُلُّ صور البهجة تلك

كانت من صناعي

(وكانت ركيكةً مثل أيِّ ادّعاء)

لم يكن لها أصلٌ في أيِّ مكان

لا أصل لها حتى في الغيب

(5)

كنِ البابَ المفقود، أيها الباب

لا أريد أن أسمع

طرقات العالم المفزعة

(6)

وأنا أذهب

لم أحمل أشيائي معي

إذ لم يكن هناك سوى قلبي

وهو لا يريد بلداً آخر.

لو أن الليل لي وحدي

(1)

لو أن الليل لي وحدي
كنت ألقيته حولك، وغرقتُ فيه
لا تنم قبل أن أصل
وإذا تأخَّرتُ، كما أتأخَّر دائماً
لا تنم أيضاً
دعني أنسابُ في نعاسك
مثل نعاسٍ آخر
خُذ صوتي من أحاديثنا الغائبة
خُذ وجهي ويديّ

وأغلق عينيك عليَّ
أغلقهما برفق كي لا أنكسر
أغلقهما بشدّة،
كأنك تُبقيني
إلى الأبد

حين يكفُّ الليل عن النموّ كشجرة

(1)

حين يكفُّ الليل عن النموّ كشجرة

وعن الاضمحلال كظلٍّ قديم

حين تسقط أوراقه الجافة

ولا أتلقّاها بين يديّ

كما لو كانت نجومًا لا تنطفئ

حين لا أتناثرُ تحت الكلمات المبهمة

كسطورٍ فارغةٍ تنتظر أن تمتلئ

حين أنقأُ إلى طريق

ولا أظنُّ أن نهايتها البعيدة

تحت قدميك
حين لا أتلفَّت خلفي
ولا أسمع صرير الأبواب
سأدرك أنَّ هذا هو الموت
وأنَّ الموت أكثر وحشةً
مما كنت أظن

(2)

ألم يحن الوقت بعد
لتهوي الأشياء المتأرجحة
وتنكسر
كما ينبغي للبقاء أن يُخدش
أو تبقى
كما لا يريد الزوال

(3)

كَأَنَّ اسْمَكَ بَيْتِي

جَلَسْتُ فِي كُلِّ رَكْنٍ فِيهِ

مَشَيْتُ

غَضَبْتُ

تَدَفَّأْتُ

فَتَحْتُ نَوَافِذَهُ وَأَغْلَقْتُهَا مَرَارًا

مَشَيْتُ أُمِّيالًا بَعِيدًا عَنْهُ

مَشَيْتُ أُمِّيالًا

لَأَعُودَ

وَأَغْلِقَ أَبْوَابَهُ عَلَيَّ

اسْمَكَ

حِينَ أَنْطَقَهُ

أَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ

(4)

لم يعد في وسعي
أن أرى من هذه المسافة
لم يعد في وسعي
حمل كل هذا الفراغ ..
هل في وسعي أن أنقاد بكلي
ذلك الانقياد الذي يترك الباب مفتوحاً
فقط، من أجل وهم جديد
وانقيادٍ كالانسياب في نهر؟
الطائر الذي حلّق
كان يرمي الأرض عند قدميَّ
ليصير إلهاً، قدماي كانتا جناحي طائر
الأرض كانت عزفاً
العزف كان يتدفّق من قلبي

قلبي الذي لا أراه

يا له من يقين

هل في وسعي أن أحسّ، أحسّ لا أكثر

لا أريدُ أن أعرف

المعرفة معلقة

في المصابيح

التي تُعشي عينيَّ

(5)

ماذا لو أستطيع للحظة
أن أوقظ حياتي السابقة
أن أحدثها عنك مثلاً؟
ربما تنام بهدوء هذه المرّة
ربما لن أفكر بعد ذلك
أنّ حياتي مقسومة نصفين
وأنّ النصف الذاهب
يُوجع النصف المتبقي

(6)

أنت بعيد

أنا قرب الأشياء

التي تتذكر

مثلي

كلماتي ترتعش

لأنها تتحدث عنك

كانت ستموت بهدوء

دون هذه الارتعاشة

ينظرون إلى البحر

(1)

ينظرون إلى البحر
كأنَّ أحزانًا ستهبط من عيونهم لتغرق
كأنَّ الزرقة المغسولة بالموج
سوف تغسلُ الغروب ليأتي خفيفًا
كنت أنظر أيضًا
وكانت أحزان آلاف الوجوه
عبر السنين
عبر امتداد البحر
تصحو في قلبي

(2)

بأقلّ صوتٍ للأسى

أُحدّث عن غيابك

الهدوء الليليّ يمسح الجدران حتى الصباح

والرياح ما زالت تأتي من استمراريتها المطلقة

لا صوت يؤكّد التشابه بين الزجاج نصف المضيء

وبين الحزن

لا بكاء،

الكلمات هي بكائي الوحيد.

(3)

البحر من أوّلِهِ الى آخره، مشهدٌ ناقص

لم نستطع يوماً رؤيته كاملاً

ولم يأخذ إلى قاعهِ المطمئن

حياتنا التي تغرق

(4)

في الليل
في الهدوء المتتابع مثل بحر
أحيا حياتي الخافتة
وفي أبعد أعماقي
الطريق الذي يشقه الصمت
الطريق الفسيح، حيث أشاهد وجودي
مُضاءً بشعلةٍ صغيرةٍ
ترتجفُ
في الأعلى
ثمَّ تبتعد

(5)

ها أنا أستيظ

بعد ليلةٍ من خمس ساعات،

وكما أجد أنفاسي ووجهي

أجد نفسي في الهاوية المكررة:

أنَّ العالم كان مستيقظا طيلة الليل

ويؤلم نفسه

ما لا يُستعاد..

(1)

أوراقٌ جديدة

تعود إلى الأشجار

غير تلك التي سقطتْ

التي سقطت تذهب إلى الفناء

سأخبرك ماذا أخذ الفناء أيضًا:

الشمسَ البعيدة

التي دفأت تلك الأوراق، لا الموجودة فوق هذا النهار،

الماء الذي كان في التراب

وليس موجودًا الآن، ونافذتي المفتوحة

ونظرتي، وأصابعي

وقلبي

ليس نظرتي في هذه اللحظة

ولا أصابعي ولا قلبي

تلك الأشياء التي لا تُستعاد

لا يعيدها الفناء

لا تلم يديّ الخاليتين من السكينة

كانتا خاليتين منك أيضًا

أسير في غيمة بيضاء

(1)

حتى صمتك

ذلك الصمت

كيف كان يسير خلال السنين

مخلفاً ذلك الأثر

(2)

فرحةً، حتى بحفيف مشيتي
يجري امتداد الشارع أمامي
واندفاع النهار خلفي
أسير في غيمةٍ بيضاء
لا يراها أحد

(3)

حديثي مع نفسي أنتَ

حديثُ الحياة لنفسي الحزينة

التي تحيا وتحيا

حتى وإن بدا أحياناً

أنني أموت من الوحشة

(4)

هل أغلق المقهى أبوابه؟

هل أظلم في آخر الليل

كما أظلمت المدينة؟

هل أطفأوا المصابيح

واحدًا واحدًا،

حتى الذي فوق تلك الطاولة؟

فوق الهواء الذي كان مكانًا وحدَه

وكان يتحرك مثل يديك؟

هل ينطفئ النور

فوق تلك الطاولة

هل ينطفئ حقًا

ويحلُّ الظلام

(5)

كنُ هنا هذا المساء
طيلة الشتاء
حلمت بمساءٍ يبتلُ أمام عينيك
قُلْ لمدينتك إنَّ المطر في الجنوب
يسقط بقسوةٍ مكانَ الأشياء المفقودة
وأنَّ الضباب الشاحب في الطرقات
هو مشيتك الغائبة
لو تستيقظُ من نومك في هذه اللحظة
كنتَ ستري الموجة التي رفعها البحر
إلى الأعلى وصارت غيمةً
كنت ستذكر مدينتي
لو ارتديت معطفاً رمادياً
وشاحاً

أَيَّ شَيْءٍ رَمَادِيَّ
يَذْكُرُكَ بِمَدِينَتِي
بشوارعَ تمرُّ الحياة فيها
كأنما بندم

كلّ ما أردت أن أقول

(1)

قالت الكثير تلك الرياح
بالصوت المصنوع مرّات ومرّات
من عُمر الجبال والتفافِ الأزقة
من الأشجار والجدران
من الخواء المتروك فوق الرمال
من الامتلاء المُشابه، الذي يُصنع فوق الرمال أيضًا
قالت الكثير تلك الرياح لي
للمساء الذاهب والليلة القادمة
وكان يُشبه ما أردتُ أن أقول

كان كلَّ ما أردتُ أن أقول
بصوتي الذي لا يعرفه أحد ..

(2)

المياه المتدفقة
منذ أول الزمن
تنحت الصخور والحجارة
تُعيد صياغتها
بعينين ساهيتين
بالحنو الذي يتحوّل في تكراره
إلى قسوة
للمياه تلك القدرة
وللحجارة القدرة على التحمّل
ما دامت لا تتحرّك
لترى صورتها المتغيّرة

(3)

أَكُونُ فِي أَقْصَى وَجُودِي
حِينَ أَحَسُّ وَأَدْرِكُ
أَنْنِي أَتَلَاشِي بِإِيقَاعٍ وَاحِدٍ
مَعَ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَتَلَاشِي
بِإِيقَاعٍ وَاحِدٍ، عَلَى مَهْلٍ
وَهِيَ تَطْبَعُ فِي أَعْمَاقِهَا
حَتَّى أَعْمَاقِ رُوحِي
نَعْمَاتٍ خَفِيفَةٍ وَمَتَلَا حَقَّةٍ
جَاءَتْ مِنْ كَوَّةٍ بَعِيدَةٍ فِي الْكَوْنِ
كَوَّةٍ لَا تُرَى
لَكِنَّهَا مَطْرُوقَةٌ إِلَى الْأَبَدِ
بِتِلْكَ النِّعْمَاتِ

مثل لوحة لا تنتهي

(1)

أسمعُ الخشخشة ذاتها منذ ذهابك

الهواءُ الذي كان يحتكُ بمشيتك

كنتَ تأخذه معك

والساعات القليلةُ

معلّقةٌ هنا

مثل لوحة لا تنتهي

تحت كلِّ نظرةٍ يُولدُ ظلُّ

وإذا سهوتُ قليلاً

تتحركُ يدكُ في الظلِّ، أو يهمسُ صوتكُ

هل هذه الدهشة صوتك
وكان يناديني؟ أنا الأثر الصغير
لذلك الصوت

(2)

أُتحدّثُ معكَ في غيابك

أتحدّثُ مع غيابك

طيوري الحبيسة هي الكلمات

لم تذهب إليك، ولم تتعب بعد

ما زالت تهدي إليَّ صورة الوجود

مرسوماً بخطوطٍ مُنعّقة

مثل أنفاس طفل

ذات يوم

حين يعذبها الخفقان المتطلّب

تأتي لتمسح عنها العذاب بيدك

أليست تلك صورة الوجود

وأنت الواقفُ في أبعد أعماقها؟

(3)

ناديتُ،

نعم ناديتك

لم أفكر بالكلام الذي سأقوله

كنتُ حزينةً فقط

هل سمعتَ أحدًا؟

لو نظرتَ إلى الليل

وهو يستعيدُ رُسوخه بين الأبنية

فوق الأشجار والآلام والغرباء

لعرفت ندائي

إنَّه القطعةُ الأثقل

في تلك الظلمة

لا أريدك أن تراني في هذه اللحظة

أنا أكثر كثافةً من هذا الفراغِ بقليل

لا شيء تحت قدميَّ
وفوق قدميَّ كلُّ شيء
النهارُ الذي لا يراك
ليلةُ أمس التي جَوَّفها النداء
وروحي الأثقل
من أيِّ جسد

تقفُ خلفُ نافذتك

(1)

تقفُ خلفُ نافذتك

تحدّق في أضواء الليل البعيدة

لو كان الليلُ مطفأً

لارتفعت بكلّ ضآلتك التي لا تعرف

نحو السماء

حيث النجوم نقاطٌ صغيرةٌ تُضاعفُ حجم الليل

ماذا كنتَ تريد؟ البهجة، أم المسافة الشاردة أمامك

أنتَ تغسلُ عينيكَ بالأضواء البعيدة

وتدفنُ دموعكَ حيث لا يعرف أحد

أنا أيضاً
وقفتُ طويلاً ونظرتُ
كان امتدادُ الظلمة أمامي هو امتدادُ روعي
ظلمةٌ تتنفسُ منها نقاط ضوء صغيرة
لم أعرف اليد التي أضاءتها
ولا الأيام التي زالت
كانت أضواءً في أقصى الهباء المظلم
لا الملمس، ولا النور، ولا المعنى الكليَّ عرفت
وهذا المشي كله، هذا النظر، الاستجداء
ولن يكون في استطاعتي الاقتراب في أيِّ يوم
أنظر عبر النافذة
وعبر الظلمة تنشقُّ الأضواء البعيدة
ورغبةٌ في البكاء

منذ وقتٍ بعيد

(1)

أعلم أنك مَنْ تقولُ للأشجار أن تكون أكثر خُضرةً
للِهواء أن يرقَّ

حتى أرى كيف تكون صورة النهار حول وجهك
في المدى المنساب أمامي

أرى صوتك وألمسه

ذائبًا في الوجود، في الأشياء التي

تقفُ عند الأبواب وتخرجُ

دون أن تغادر حقًا

بالأثر الذي ما زالت تتبعه رُوحِي

أَسِيرٌ

دون أن يلاحظ الآخرون

غربتي عن مدينتهم

(2)

مرارًا وتكرارًا سوف أمشي على هذه الطريق

ستحمليني أيتها الطريق

مرارًا وتكرارًا

كما تحملين الضوضاء والأصوات المتعاقبة

واحدةً أنا من تلك الأصوات

من ذلك الهمود الذي يتركه الفراغ

وعن ظهر قلب

تحفظين ملامحي وألوان قلبي

تَحْمِلِينَ إِلَيَّ ظِلَّ السماء الوحيد

وتُبَدِّدِينَهُ، بينما أنا أتحدّثُ عن الخلود

في يومٍ ما أيتها الطريق

حين أعرف أنه لم يعد في استطاعتي

سلوكِ درِ آخر
سأنتبه أنك توقفت عن رؤيتي
منذ وقت بعيد

إنَّه الصدى

(1)

أدخلُ إلى الصباح الجديد
من تحيَّتك القديمة
من صوتها كما فسَّرتَه أعماقي
إنَّه الصدى
إنَّه كلُّ ما أسمع
كم من المسافات غير المرئية
تقطعها الهمهمات المبهمة
الصدى يقظ المقيم هناك
ليأتي حاملاً إليَّ كلماتك

هل عرفتَ إذن
أنني الشبَّحُ السعيد المرسوم على حائط
أو الظلُّ المنسكب على الأرض
بلا تعاسةٍ تُذكر؟

أنا

دون أن أقصد ذلك

أو أحبه

دون قصد

دون قصد

(2)

ها أنا أخرج من المرأة
ثمَّ إلى الشارع، تحت الشمس
بتعابير هادئة
بشيءٍ من الفرح إن أمكن
وبما يلزم من الثقة
ثقيلةً هذه الأكاذيب أحياناً
أعشق الغرف
تحت السماء العارية
أنا لا أحد

(3)

ساكنٌ هذا الليل
كالألم بعد حبة دواء
بيوتٌ نائمةٌ في تكوينها النهائي
الجدارُ يسند الضوء
كي لا يتناثر
والضوءُ يحملُ الجدارَ
كي لا يسقط في الظلام
وتحت الأضواء البعيدة
قشرة الظلام رقيقةٌ
لا يزيد مرور الوقت من سماكتها
والهواء الأزليُّ ما زال يمشي
منذ أول الدنيا
حتى هذا السكون

كأن لا شيء يقبضُ انعتاقَ الشوارع
ولا شيء يوقفُ مشيَ العابرينَ
سوى الوصول
كأن لا أحد هناك
ولا حتى انحدار صوتِ حزين
يسيلُ على قشرة الظلام؛ فتنشقُّ قليلاً
كأن لا شيء أكثرُ طمأنينةً
من هذا الليل

(4)

نظرتك تُغطي السماء
ضبابٌ أليفٌ ينظر إليَّ
وأنا أتابع طريقِي بصمت
هل ترى هذه الكلمات؟
هل ترى الطريق المتعرجة كالوجود؟
هل ترى البيت الأبعد من نجمةٍ مُنطفئة؟
لقد ملأتهُ بصمتٍ ما أردتُ أن أقول،
صمتٍ غائرٍ خلف كلِّ ضجيج،
كالوجوه التي تُصادفها
ثمَّ لا تراها ذاكرتك
صمتٍ هائمٍ وخفيف
لو حدث أن قلبتهُ بين يديك
لن يزحفَ فوق أصابعك

أيُّ ثقل
في اللحظات البعيدة
كانت نظرتك العائدة من أعماقك
تغطّي السماء
وهي كلُّ ما أردتُ
ليكون كلُّ ما تحت السماء
وطني

الذين يُخربشون على الجدران

(1)

الذين يُخربشون على الجدران

في الأزقة

وحيثما التصقت الظلمة

الذين ربما ازدريناهم

الذين حين نرى وجوههم

نعرف أنَّ الحياة تَخْتَنقُ

في الأزقة

وأنَّ العدالة وهمٌ بعدَ الوهمِ بكثيرٍ

الذين لهم أرواحٌ سماوية

ويحفظون الشعر
أولئك الذين يُخبئون البكاء خلف أصواتهم
يكتبون على الجدران
يترنّمون
الخطوط العشوائية التي تظلُّ تتحرّك
تقول إنهم يترنّمون، وإنْ بأسَى
الغاضبون، الحالمون
الهامشيون
نحن الآن لا نفعل أكثر مما فعلوا،
تبتعد عنّا الحياة
نختلقُ مكانًا يشبهها
نترنّمُ بأسَى
نكتب على الجدران

سأجدُ الكلمة التي أقولها

(1)

إنّها لي

لوحةُ الفراغ العريض

اللوحة التي لا تُلمس

في كلّ ليل

في كلّ صباح

عند ولادة العالم من كهفه القديم

ظلّ من ظلالك المجهولة

يطوف الاتساع المترامي

فوق الظلمة

فوق الأرض المتشعبة
حيث أسلكُ طريقاً بعد طريق
وأجد الكلمة التي أقولها

(2)

يتكلّم
ليسمع صوّته
على بعد مسافة قليلة
قادمًا من الهواء
قديمًا مثل بقعةٍ على غطاء الطاولة
ضئيلًا نحتتهُ يدُ الصمت أكثر مما يجب
يقطعُ مسافةً وهميةً
بين أن يوجد أو أن ينمحي
يتكلّم
لا لشيء
يخرجُ صوّته
ويأتي له بالهواء

(3)

فوق الطاولة

تعقد يديك

مائلاً إلى الأمام

تتكلم كسماء تطلّ من النافذة

أنا في غايّة من اللحظات

الحياة تتقدم في الخارج

ما من شيء يعلو أو يهبط

تحت خفوت الشمس

ما من صوت

للصباح الذي تلاشى في الأسفل

كان صباحاً متوهجاً وسخياً

له هذا الباب الكبير

المفتوح إلى الأبد

(4)

هنالك ليلٌ لكلِّ غرفة
ليلٌ للجُمادات
ليلٌ للشارع وللزقاق؛
بِضْعُ ساعاتٍ ليختبئَ شيءٌ ما عن العالم
وقتٌ لينحسر الألم المقرون باليقظة
ينام الخائفُ والحزين
تنام الأقدام التي لا تقوى على المشي
يغيب عنها أنها بعيدةٌ عن أيِّ طريق
تنام العيون التي لا تبصر
تنسى أنها لا تبصر
تنام أنفاس السجين
تنام الطفلة دون أمّ
تنام يد الطفل المنهكة من العمل،

أجسادٌ ساكنةٌ في أعماق ضحلة
وصرير الألم يجوب الهواء الثقيل
إنه الليل الذي نعبره الآن
كما نعبره كلّ ليل
فوقه النجوم
المضاءةُ عبثاً

نقصان

(1)

أفكر حين أسير بأثقالِي
و حين أصعد الأدراج
نحو مكانٍ لا أحبه
أنّ الثبات ليس في قدمي
مكانَ الحقيقة
مكانَ اليقين
ذلك الذي مثلاً يدُ تُناولني معجزةً
ثم تغيب اليدُ
كأنها كانت تلك الغيمة

أو ذلك الجبل
أو كأنها لم تكن،
ربما كنت أداوي خللاً في روحي
تلك اللهفة التي لا يمكن خلخلتها
الانشداد نحو البعيد
الانشداد الذي لا يمكن أن يسمّى أسراً
ما يجعلني بقلب مضطربٍ أفتح الباب
دون أن يطرقة أحد
ما يجعلني أتبع خفّة في الهواء
وأبتعدُ مسافات
دون أن أعرف أين أتدارك خطاي
ثم أعود
وفي أبعد اعماقي
تغوص ضجّة النقصان
العواصف المليئة بذلك الانشداد المضني

المبهم

كما لو أنه بابٌ يتربّع في هدوءٍ ما

وَخَشْخَشَةُ مَفَاتِيحِهِ

هي الصوت الوحيد بين الأرض والسماء

وأنا السامعة الوحيدة

لا أجد المفاتيح

ولا أعرف على أي شيءٍ ينغلق الباب

ثم،

اليد الغيمة

ثم التوق، والنقصان

ثمّ

لا شيء

ذابت الجملة

التي كانت

ستكمل السياق..

مريم شريف

- شاعرة أردنية.

- صدر لها:

1. صلاة الغياب، 2002.

2. أباريق الغروب، 2007.

- البريد الإلكتروني:

mariamsharef@yahoo.com

فهرست المحتويات

17	للأشياء العميقة العابرة
29	كثنية في ثوبٍ قديم
47	فليكن طليقاً
53	في الطريق التي أحملها
61	ضوء خافت
67	انظر إلى الفراغ
73	في أكثر الأماكن صمتاً
79	لا شيء أفعله
85	بمجرد أن أغمض عيني
89	لا أريد نسيان هذا الشتاء
97	القليل من الظلال
99	ثقيلة كأنني كل شيء
111	لأنَّ الوقتَ مسافة
115	الورقة بيضاء وعميقة
121	كلُّ ذلك لا شيء

123	 العابر بمحض الصدفة
129	 أُصِدِّقُ اللحنَ الخرافيَّ
137	 ما زلتُ أريدُ المرور من هناك
145	 الانعكاس العائد إليَّ من بعيد
155	 سياق آخر
159	 نجهلُ ما تخبئُ الظلمة
163	 أخاف أن أنظر حولي
167	 تستطيع أن ترى الهشاشة
171	 شيء من الوقت
183	 بلا سبب واضح
195	 على الدرب التي لم تكن
203	 من الموسيقى
225	 حين يكفُّ الليل عن النموّ كشجرة
239	 ما لا يُستعاد ..
241	 أسير في غيمةٍ بيضاء
247	 كلُّ ما أردت أن أقول
251	 مثل لوحة لا تنتهي
257	 تقفُ خلف نافذتك

271	الذين يُخربشون على الجدران
273	سأجدُ الكلمة التي أقولها
279	نُقْصان

